الوضع الثقافي بمدينة الجزائر خلال القرن 17م من خلال الرحلات الحجازية رحلة المقري نموذجا

أ . فتيحة مرزوق

merzougfatiha@outlook.fr

جامعة الجيلالي بونعامة–خميس مليانة–

ملخص: يهدف الملخص إلى إعطاء صورة واضحة عن الحياة الثقافية في الجزائر خلال القرن السابع عشر ميلادي، خاصة إذا علمنا أنه بعد استقرار العثمانيين في البلاد تغيرت ملامح الخريطة السياسية وما تبعها من تغييرات؛ كانتقال الحواضر العلمية من مدينتي تلمسان وبجاية أيام حكم الزيانيين والحفصيين إلى مدن أخرى، حيث أضحت مدينة الجزائر عاصمة الإيالة، فاكتسبت بذلك مكانة علمية ثقافية هامة. وها هي الرحلات الحجازية تنقل لنا الشواهد الحية عن النشاط العلمي الذي شهده القرن 17م في عاصمة الإيالة. وقد وقع اختيارنا على رحلة المقري كنموذج للزخم الفكري الذي حملته المدينة بين طياتها، وإحصائها لعدد من العلماء والتعريف بهم مثل سعيد قدورة ومحمد بن راس العين؟ وما جرى بينهما من محاورات علمية مثل تبادل الألغاز.

الكلمات المفتاحية: الحياة الثقافية، مدينة الجزائر، ق17م، الرحلة الحجازية، أحمد المقري، سعيد قدورة، الألغاز.

Résumé :

Le résumé de cet article vise à donner une image claire de la vie culturelle dans la ville d'Alger au 17ème siècle. Tout en sachant qu'après la présence des Ottomans dans le pays la carte politique avait changé, et il y avait eu le transfert du savoir des capitales zianide et hafside vers de nouvelles villes. Nous avons choisi le voyage d'Ahmed Al-Maqri comme modèle de l'élan intellectuel qu'il avait créé dans la ville d'Alger, à l'instar de nombreux scientifiques; tels que Said Qaddura, Mohammed bin Ras Al-Ain, ainsi que les débats scientifiques entre eux.

مقدمة:

شهدت الفترة العثمانية بروز العديد من الرحلات الحجازية الجزائرية التي أسهم أصحابها في نقل ثقافة المجتمعات وأفكارها من خلال ما سجلوه في مذكراتهم ومدوناتهم عن المدن وملامح الحياة العامة للساكنة ببيان عاداتهم وتقاليدهم ولغاتهم ونشاطاتهم وأحوالهم وعلاقاتهم الاجتماعية ...الخ، فغدت مؤلفاتهم بذلك من المصادر الأولية التي لعبت دورا حيويا أساسيا في بناء الواقعة التاريخية.وتعتبر مدينة الجزائر في هذا الصدد من أبرز المدن التي حظيت باهتمام هؤلاء الرحالة باعتبارها أحد المحطات الرئيسية التي يكمل من خلالها الحاج طريقه إلى البقاع المقدسة مثلما فعل أحمد المقري عندما قدم من المغرب الأقصى وهو عازم على أداء مناسك الحج والعمرة.

فكيف بدى الوضع الثقافي لمدينة الجزائر من منظور المقري أثناء تواجده بها؟

1-التعريف بصاحب الرحلة:

هو شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحي بن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد أبو العباس المقري التلمساني[1]، ولد عام 986هـ/1572م بمدينة تلمسان بعدما انتقلت عائلته وأجداده الأوائل من بلدة مقرة[2]، وقد ذكر المقري ذلك قائلا: " ... **وتلمسان هذه هي مدينتنا التي علقت بها التمائم، وقد نزلها من سلفنا عبد الرحمن بن أبي بكر المقري بن علي صاحب الشيخ أبي مدين الذي دعا له و لذريته بما ظهر فيهم قبوله وتبين... وبها ولدت أنا وأبي وجدي و جد جدي وقرأت بها ونشأت...**[3].

نشأ المقري بتلمسان وطلب العلم فيها، فتتلمذ على يد أشهر فقهائها وعلمائها في ذلك الوقت وفي مقدمتهم عمه سعيد المقري[4]، الذي قرأ عليه صحيح البخاري سبع مرات و القراءات الست[5]، ولما بلغ سن الثالثة والعشرين من عمره تردد على بعض مدن المغرب الأقصى، فزار فاس لأول مرة عام 1009هـ بعدما حببها إليه عمه ورغّبه في أن

يكمل بها علومه ومعارفه وتحصيله الذي بدأه في تلمسان[6]، فاشتغل فيها بالقراءة ومخالطة شيوخها و علمائها وحضور مجالسهم العلمية، ولقائه بالفقيه إبراهيم بن محمد الآيسي[7] الذي أعجب بشخصيته وإصطحبه معه إلى مراكش في السنة الموالية 1010هـ[8]، أين إتصل بالسلطان أحمد المنصور الذهبيوتعرفه على العالم المشهور أحمد بابا التنبكتي صاحب نيل الإبتهاج و ابن القاضي وغيرهما من علماء مراكش وأدبائها، ثم عاد على تلمسان سنة 1011هـ/1597م مكث فيها سنتين وهو عازم على إتمام كتابه روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام مراكش و فاس الذي كان ينوي تقديمه للسلطان المنصور الذهبي، غير أن هذا الأخير توفي قبل عودة المقري إلى فاس سنة 1012هـ[9].

ثم عاود السفر إلى فاس سنة 1013هـ/1604م لاستكمال تكوينه العلمي فيها، كما استطاع تأليف عدة كتب مثل كتاب "**أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**"

وكتاب "**الجنابذ فيمن لقيته من الجهابذ**"[10].

عايش المقري خلال هذه الفترة أحداثا سياسية بارزة في تاريخ المغرب الأقصى، فبعد موت المنصور الذهبي دخلت البلاد مرحلة جديدة اتسمت بالصراع و التطاحن حول السلطة بين أبناءه الثلاثة: الشيخ المأمون و أبو فارس عبد الله الواثق و زيدان الناصر، هذا الأخير الذي استطاع أن يستأثر بحكم فاس وسائر بلاد المغرب، خاصة بعدما ساءت سمعت أخيه المأمون الذي انتقل إلى العرائش ومنها إلى القصر الكبير أين اتخذ قراره الخطير القاضي بتسليم العرائش للإسبان مقابل إعانتهم له لاسترجاع الحكم[11]، و كان يسعى للحصول على فتوى تجيز له ذلك فانقسم الفقهاء بين مبيح له و بين محرم لذلك، وهناك قسم ثالث لجأ إلى الاختفاء عن الأنظار وكان المقري واحد من هؤلاء حتى لا يجيب على الفتوى[12].

إلاّ أن هذه الحادثة لم تدفع بالمقري إلى مغادرة فاس، بل بقي فيها عدة سنوات أخرى ترأس فيها منصب الإفتاء رسميا بعد وفاة شيخه محمد الهواري سنة 1022هـ[13].

قرر المقري رحيل المغرب الأقصى بسبب الظروف والتطورات الخطيرة التي عرفها هذا القطر، ولم يحدثنا عن الأسباب الحقيقية التي جعلته يغادر البلاد بل اكتفى بالإشارة إليها فقط بقوله:

" لما قضى الملك الذي ليس لعبيده في أحكامه تعقب أورد ولا محيد عما شاءه سواه كره ذلك المرء أورد برحلي من بلادي ونقلتي عن محل طارقي وبلادي بقطر المغرب الأقصى الذي تمت محاسنه لولا أن سماسرة الفتن سامت بضائع آمنة نقصا، وطما به بحر الاهوال فإستعملت شعراء العبث في كامل رونقه من الزحاف إضمارا وقطفا ووقصا..."[14].

غادر المقري مدينة فاس في أواخر سنة 1027هـ/1617م تاركا وراءه زوجته وإبنته

و خزانة كتبه، بعد أن قضى في بلاد المغرب 14عاما ليتوجه نحو الحجاز لتأدية مناسك الحج و العمرة، ويذكر لنا ذلك بقوله: " ... **ثم إرتحلت بنية الحجاز، و جعلت إلى الحقيقة المجاز"**[15]، فركب من ميناء تطوان السفينة التي عرجت به على المدن الكبرى كالجزائر العاصمة و قسنطينة و تونس و سوسة وصولا إلى مدينة الإسكندرية في شهر جمادى الأولى بعد مواجهة عدة مخاطر كأهوال البحر و كذا نشاط القراصنة المسيحيين —فرسان مالطة–عند مرورهم بجزيرة مالطة، و يذكر لنا ذلكقائلا: **"... مع ترقب هجوم العدوّ، في الرواح والغدو، لاجتيازه على عدة من بلاد الحرب، دمر الله سبحانه من فيها و أذهب بفتحها عن المسلمين الكرب لا سيما مالطة الملعونة، التي يتحقق من خلص من معرتها أنّه أمد بتأييد إلهي**

ومعونة"[16]، وقد حدثنا المقري عن فرحته عند وصوله ميناء الإسكندرية قائلا: " ... **فرأينا البر وكأننا لم نره، وشفيت به أعيننا من المر وحصل بعد شدة الفرح، وشممنا من السلامة أطيب الأرج، فيالها من نعمة كشفت عن وجهها النقاب... فشفينا لرؤيتها من الأوجاع..."**[17]،

ومنها إلى القاهرة التي دخلها في رجب من عام 1028هـ، وفي نفس السنة من شهر ذي القعدة توجه صوب مكة وأدّى العمرة وبقي هناك ينتظر موسم الحج، وبعد أداءه لهذه الفريضة توجّه إلى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم[18].

عاد المقري من الحجاز إلى مصر في شهر محرم من السنة الجديدة 1029هـ/1620م حيث تزوج امرأة تنسب إلى عائلة ثرية تدعى عائلة السادة الوفائية[19]، ثم ارتحل إلى بلاد القدس في سنة 1029هـ من شهر ربيع الأول أين زار المسجد الأقصى و الصخرة المنيفة و محل الإعراج، ثم عاود الرجوع إلى القاهرةحيث جلس فيها للتدريس في جامع الأزهر الشريف يقرأ طلبته كتاب صحيح البخاري، و مرة أخرى الشمائل المحمدية التي ختمها في شهر رمضان من سنة 1030هـ[20].

ومنذ ذلك الوقت أخذ يكرّر السفر من القاهرة إلى الحرمين الشريفين وبين المقدس ودمشق[21] فكان دخوله إلى مكة خمس مرات في فترة مابين1028هـ و1036هـ، أين أقام في المرة الثالثة وقدّم دروسا عديدة فيها، وزار طيبة سبع مرات فأملى الحديث النبوي بمسجدها

وتعرف على عدد كبير من علمائها فأجازهم وأجازوه، وذكر لنا المقري ذلك بقوله:

"**وحصلت لي بالمجاورة فيها –مكة–المسرّات وأمليت فيها على قصد التبرك دروسا عديدة،**

والله يجعل أيام العمر بالعود إليها مديدة، ووفدت على طيبة المعظمة ميمما مناهجها السديدة سبع مرات، وأطفأت بالعود إليها ما بالأكباد الحرار، وإستضأت بتلك الأنوار،

وألفّت بحضرته صلى الله عليه وسلم بعض ما منّ الله به عليّ في ذلك الجوار، وأمليت الحديث النبوي بمرأى منه عليه الصلاة والسلام ومسمع..."[22]،كما استطاع تأليف كتابيه " **فتح المتعال في مدح النعال**" و " **ازهار الكمامة في أخبار العمامة ونبذة من ملابس المخصوص بالإسراء والغمامة**" عند قبره صلى الله عليه وسلم[23].

أما بيت المقدس فقد عاد إليه مرة ثانية في شهر رجب من سنة 1037هـ حيث أقام نحو خمس وعشرين يوما قضاها في التدريس بالمسجد الأقصى وعند الصخرة تحديدا، وزيارة مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام في مدينة الخليل، وإجازة أحد العلماء هو محمود بن أحمد العماري الخليلي[24].

وأما دمشق فقد رحل إليها مرتين، الأولى كانت سنة 1037هـ من شهر شعبان، حيث أقام فيها أربعين يوما يتجول في أرجاء المدينة ويتعرف على أهلها، كما جلس لتدريس " صحيح البخاري " بالجامع الأموي تحت قبة النسر بعد صلاة الصبح بحضور أعيان علماء دمشق

و جميع طلبتها، و اجتمعت يوم ختمه الألوف من الناس حتى أن حلقة الدرس نقلت إلى وسط الصحن و أتي له بكرسي الوعظ وتكلم بكلام في العقائد و الحديث لم يسمع له نظيره أبدا، ويحدثنا صاحب خلاصة الأثر عن هذا المشهد بقوله: " ...**ونزل عن الكرسي فازدحم الناس على تقبيل يده وكان ذلك نهار الاربعاء17 رمضان سنة 1037هـ**"[25]، كما عزم على تأليف موسوعته الشهيرة " **نفح الطيب**" نزولا عند رغبة أحد تلامذته أحمد بن شاهين و ذلك عندما كان يسرد على علماء دمشق وأعيانها أخبارا

عن بلاد الأندلس، و انتهى المقري من تأليف هذا الكتاب سنة 1039هـ و هو مقيم بمصر يومئذ[26].

أما المرة الثانية فكانت سنة 1040هـ، أين تعلق بأهلها وأنشد فيهم أجمل القصائد، ثم عاد إلى مصر حيث طلّق زوجته إذ أن العلاقة لم تتوج بالوفاق، خاصة بعد وفاة ابنته سنة 1038هـ[27]، ولما كان ينوي العودة إلى دمشق للإقامة بها بشكل دائم لكن عاجله الأجل قبل تحقيق ذلك، فكانت وفاته في شهر جمادى الآخرة سنة 1041هـ ودفن بمقبرة المجاورين[28].

ترك المقري ثروة هائلة من المؤلفات في مختلف البلدان التي زارها في مواضيع عدة كالأدب والتاريخ والفقه والعقائد، ويحق للجزائر ولمدينة تلمسان خاصة أن تفخرابهذا العالم الفذّ وبأعماله الجليلة.

2-التعريف بكتاب الرحلة:

تعرف الرحلة بعنوان " الرحلة إلى المغرب و المشرق "، وهي عبارة عن مخطوط أهدته حفيدة المستشرق الفرنسي جورج ديلفان (G.DELPHIN) [29]إلى السفارة الجزائرية بباريس، ونقل بعد ذلك إلى المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة تحت رقم 3191.

يبلغ عدد أوراق المخطوط 66 ورقة، تتراوح مسطرته ما بين 06 إلى 38 سطرا، أمّا قياس الورقة فيبلغ 21,5 سم × 15,3 سم.

المخطوط مبتور الأول والآخر به آثار رطوبة والمياه في بعض أوراقه، تصعب قراءته في كثير من المواضيع لوجود تشطيبات كثيرة، وكتابة صغيرة بقلم المؤلف ذاته يدل على أن المخطوط عبارة عن مسودّة المؤلف لوجود التصحيحات على الهامش وإعادة التعبير في بعض المواضع وتصحيح ما قد كتب[30].

قام بتحقيق المخطوط الدكتور محمد بن معمر أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة وهران سنة 2004م، ويعد هذا التحقيق خطوة جديدة في فهم حياة المقري نشاطه الفكري، حيث استوفى المحقق شروط التحقيق الضرورية إذ قام بإجراء تصميم جديد في

ترتيب المادة لإن المخطوط مبتور البداية والنهاية، فوضع عناوين وأرقاما بالإضافة إلى تبويب المتن، وتدبيج مقدمة وافية عن المؤلف وعصره وأسلوب الكتابة ووضع فهارس للأعلام والأماكن والبلدان ...الخ لتسهل قراءته[31].

يحمل كتاب الرحلة بين طياته معلومات عن حياة المقري الشخصية في كل من تلمسان

والمغرب الأقصى ومصر والشام و بيت المقدس والحجاز، بالإضافة إلى معالجة الحياة الثقافية و الأدبية في عصره و لعل هذا ما يميّز الرحلة، إذ أن المقري خص جزء كبير من الرحلة للحديث عن نشاطه الفكري والعلمي واتصاله بعلماء وأدباء المغرب والمشرق الإسلاميين وما تم من محادثات بينهم من خلال نظم قصائد شعرية وتأليف مقطوعات نثرية وكتابة رسائل بليغة، هذه الكتابات الأدبية التي عالجت أكثر من موضوع فكانت إما في الوصف أو المدح أو الاستضافة أو الإجازة أو الألغاز أو طلب الإفتاء أو الإجابة عن الأسئلة في القضايا العلمية[32].

بالإضافة إلى اهتمامه بالقصائد والموشحات وهي قصائد تدخل في الغرض الديني كالتوسل ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم، أو وصف الشوق إلى البقاع المقدسة[33].

3-وصف مدينة الجزائر:

يعتبر طريق العاصمة من أهم المسالك التي اتخذتها قوافل الحج القادمة من الغرب للوصول إلى غايتهم من الرحلة والتي تتمثل في أداء مناسك الحج في بلاد المشرق الإسلامي، فعندما يصل الحاج إلى الجزائر يبقى عليه اختيار طريقين:

أ-الطريق البحري:

1-من ميناء الجزائر ليصل إلى ميناء تونس

2-أو موانئ أخرى كميناء طبرقة أو صفاقص أو سوسة.

ب-الطريق البّري: ويتزوع على 3 اتجاهات

1-اتجاه الهضاب الشمالي: وهو الرابط بين فاس وتونس مرورا بوجدة وتلمسان ووهران

والجزائر العاصمة وقسنطينة وتونس والكاف.

2-اتجاه الواحات الأوسط: الرابط بين تافيلالت جنوب المغرب ونفطة في جنوب تونس

ويمر على أهم واحات الجزائر كالأغواط وأولاد نايل بسكرة.

3-اتجاه الساحل: هذا الاتجاه ابتعد عنه الحجاج لأن طرقه صعبة تكثر فيها المرتفعات

وتنقطع كثيرا مما يضطر الحجاج إلى التوغل إلى الدّاخل لتجنب البحر[34].

يبدوا أن مدينة الجزائر كانت مقصدا للعديد من الرحالة خلال القرن السابع عشر ليبلغوا عن طريقها مختلف وجهاتهم،ونخص بالذكر الرحلات المغربية والجزائرية لأن أصحابها لم يغفلوا عن تسجيل أحوال المدينة ووصفها وتخصيص جزء من سجلاتهم لتقديم نخبة من علماءها وأشهرهم فيها ليثبتوا بذلك الإدعاءات الكاذبة للرحالة والمؤرخون الغربيون عندما يتحدثون عن المدينة في هذه الفترة فيقدمون الأوصاف القاسية والصور القبيحة، وإذا وقفوا عند الحياة الثقافية فإنهم يخطأوا بل إنهم يذهبون إلى الإعتقاد بأن السكان يحتقرون العلوم ويكتفون بتعلم القرآن[35].

ومن هؤلاء نذكر ابن زاكور[36] الذي قدّم لنا وصفا للمدينة بمدحها عندما دخل إليها بحرا سنة 1093هـ/1683م، واخترنا بعض المقتطفات نذكر منها: **"وإنه لما منّ عليّ المولى ذو الفضل السابغ العظيم بدخول مدينة الجزائر ذات الجمال الباهر، وحلول مغانيها النواظر التي غص ببهجتها كل عدو كافر...إذ هي كما قيل:**

بلد أعارته الحمامة طوقها وكساه حلّة ريشه الطّاووس

ما شئت من حدائق كالنمارق وقصور نوع من المحاسن عليها مقصور، والذي أعارها ذلك المرأى الجميل، وأصارها فضية الصباح عسجدية الأصيل، وألحفها بهجة وإشراقا وألبسها نضرة وإيراقا، وأبداها للعيون آنق من جيرون"[37].

ويلاحظ أن علماء العاصمة في هذا القرن كانوا يرّكزون على تلقين العلوم الشرعية أو بالأحرى الدراسات القرآنية المتمثلة في التفسير والقرآءات والحديث بما في ذلك الإثبات والإجازات[38]، ويشير ابن زاكور ذلك قائلا: **"إلتمست ممن اصطفيت من أولئك الأخيار أن يكتب لي من إجازته ما أطاول به الأحبار، فسوّغ لي من إعتمرت بمطافه ما ترشفته من نطافه، وأجاز لي من إهتديت بمناره ما أقبسني أنواره، وقد زدت أن أذكر من حلاهم في هذه الأوراق ما تحسده الجزاهر في الأطواق وأنقل إثر ذلك إجازة من أجاز، وأباح لي الرواية عنه في الحقيقة والمجاز..."**[39].

4-نزول المقري بالعاصمة:

اختار أحمد المقري اتجاه الهضاب الشمالي الذي يمر على مدينة الجزائر حيث وصل إليها يوم 25 من شهر ذي الحجة سنة 1027هـ وأقام مدة قصيرة حرص فيها على مقابلة أعلامها لتبادل مختلف المعارف، ومناقشة مختلف المسائل العلمية المعاصرة التي ساهمت في رسم معالم التأثر والتأثير بالآخر[40]، فالتقى بعدما تجول في أرجاء المدينة وتحديدا عند رأس تافورة بجماعة من الأعيان وما حصل له معهم من محادثات ومقابلات علمية[41] نذكر منهم؛ مفتي الحنفية الخطيب محمود بن حسين بن قرمان والشاعر والأديب محمد بن راس العين[42]، وقد تغنى الرحالة ابن زاكور في حق علماء هذه الفترة بما يلي: **"غرر أعلام يتجلى بهم الإظلام وشموس أئمة تنفرج بهم كل غمة وتفتخر أحبار هذه الأمة من رجال كالجبال وأحبار كالأقمار، طلعوا في بروج سعودها بدورا ألبسوها رواء ونور، فإهتديت بأنوارهم السنية إلى قطف ما راق من أنوارهم الجنية،**

ورتعت في رياض آدابهم فتمتعت، ونهلت من حياض علومهم حتى تضلعت وكرعت في أنهار بلاغتهم حتى رويت وهصرت من أفنان براعتهم ما هويت..."[43].

وتبادل محمد بن راس العين نظم الشعر بمناسبة هذا الاجتماع مع المقري بقوله:

خرجنا مع المولى إلى رأس تافورة فصارت به تلك المعاهد معمورة

فيرد عليه إبن رأس الماء بقوله:

وما أحد إلا إعترته مسرة وكانت قلوب القوم بالجمع مسرورة

وجالسنا فيه أناس أفاضل فقلت مآثرهم بين الأكابر مشهورة[44]

كما التقى بعالم الجزائر وفقيهها في عصره سعيد قدورة[45]، حيث لاغز هذا الأخير رحالتنا في لفظ القوس نثرا فأجابه، ونذكر من ذلك:

سعيد قدورة يكتب إلى المقري ملغزا في لفظ القوس:

" كتب إلى مفتي الجزائر وعالمها وإمامها وخطيبها الأخ في الله سيدي سعيد الشهير بقدورة حفظه الله، ملغزا في القوس":

يا بارعا أربى على دوي النهى ولا معا يسمو على نجم السهى

لفظ تراه في كتاب الله أتى مثنى يا أخا إنتباه

ولم يثن فيه وإصطحبه في السفر المبرور تشطبه

والأصل إن قلبته دل على محتفل للنبلا والرذلا

فأجابه المقري بما نصه:

" الحمد لله الذي ألهما لحل مشكل عرا وأفهما وصلواته على المقرب كقاب قوسين النبي العربي ثم الرضى عن صحبه وعترته الفائزين بمزايا إثرته ووارثيه علماء الملة السعداء العاملين الجلة"[46]

وبعد:

" ياصدر الكمال والورع فقد أتانا نظمك الذي عجز عن ألفاظه قاريها، فأسلم القوس إلى باريها، وكيف لا وقد رمى عنها، فلم تحط شريد الفهم، وأسهم القلم... الخ".

كما لاغزه في لفظ الصنبر بتسعة أبيات وأجابه بأحد عشر بيتا في حل هذا اللغز[47].

ولا يفوتنا أن نذكر ما قاله المقري في مدح مدينة الجزائر وعلمائها:

جزائر الغرب لا تطرقك أحزان يا بهجة الجهر طابت منك أزمان
وزادك الله يا أرض الجهاد على فكم علا فيك إسلام وإيمان
وصانك الله من كيد العدى وغدا للنصر والعز في مغناك إدمان
وزانك الله بالشيخ الذي بهرت علومه أوحد العليا سليمان

وقال أيضا:

يا ندا قد أقسمت بمعاليك الورى فلهم على انفرادك بالعلياء إبقان
وأنت نعم خليل المرء تعضده إذا تقاعس خلان وإخوان
فأعذر محبا قصير الباع مغتربا عن معهد الأنس والأحباب قد بانوا
وأهنا ودم للمعالي مفردا علما ما هاج شوق الغريب الرّند والبان[48]

خاتمة:

إن الرحلة التي قام بها المقري إلى مدينة الجزائر لم تكن مجرد مشاهدات سياحية أو صادرة عن حاجة سياسية أو طائفية كما أشار إلى ذلك الدكتور عبد القادر شرشال في مقاله كتاب الرحلة إلى المغرب والمشرق، فهذا الحاج لم يهتم كثيرا بوصف ما شاهده من مظاهر اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو عمرانية أو طبيعية كوصف الجبال والشوارع والأسواق والحدائق والساحات العمومية ... الخ، بل ركّز على أهم من ذلك والمتمثلة في مظاهر الحياة العلمية والفكرية فوصفها وصفا ينم عن خبرة وثقافة عاليين لم تلاحظ عند سابقيه من الرحالة.

التهميش:

[1]-محمد أمين المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج1، دار صادرة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص302.

[2]-مقرة: وهي مدينة تقع شرق المسيلة، ذكرها ياقوت الحموي في معجمه " مدينة في المغرب تقع قريبة من قلعة بني حماد، بينها وبين طنجة ثمانية فراسخ"، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، المطبعة المصرية، القاهرة، 1906، ص606.

[3]-أحمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، مجلد7، دار صادر، بيروت، 1968م، ص 133-136.

[4]-هو الفقيه الإمام العلامة أبو عثمان سعيد بن أحمد المقري، ولد قبل سنة 930هـ، أخذ عن شيوخ تلمسان كأبي مالك الونشريسي و غيرهم، تخرجت على يديه جلة من العلماء منهم؛ سعيد قدورة، وابن أخيه أبو العباس احمد المقري وغيرهم كثير، تولى منصب الإفتاء بتلمسان مدة 60 سنة، توفي سنة 1010هـ، انظر: محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف،ج2، مطبعة بيير فونتانة، الجزائر، 1906م، ص155.

[5]-محمد الأمين المحبي، مصدر سابق، ص303.

[6]-أبو العباس أحمد المقري، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تحقيق: محمد بن معمر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004م، ص6.

[7]-هو العالم المالكي من أكابر الأفاضل، جامع للفنون والعلوم الرياضية، اشتغل ببلاد سوس من المغرب الأقصى ثم تنقل في بلاد المغرب، فرحل إلى مراكش وأخذ عن علمائها ودخل فاس وأخذ بها عن جمع، رحل إلى المشرق سنة 1075هـ فدخل مصر وأخذ بها عن جماعة ثم دخل مكة وأقام بها إلى أن مات سنة 1077هـ، وهو أحد قواد السلطان المنصور الذهبي، أنظر: العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، الجزء1، الطبعة2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993م، ص 183،184.

[8]-أبو العباس أحمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، مجلد1، دار صادر، بيروت، 1968، مقدمة المحقق، ص6.

[9]-نفسه، ص6.

[10]-سميرة أنساعد، الرحلات الحجازية في الأدب الجزائري من القرن 17-19م، الطبعة1، الوكالة الإفريقية للإنتاج السينمائي و الثقافي، الجزائر، 2011م، ص27.

[11]-أحمد المقري، رحلة إلى المغرب والمشرق، ص6، 7.

[12]-أحمد المقري، الرحلة، مصدر سابق، ص7.

[13]-أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، القسم2، الجزء6، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م، ص22.

[14]-أحمد المقري، نفح الطيب، ج1، ص13.

[15]–نفسه، ص7.

[16]–نفسه، ص34.

[17]–نفسه، ص 34.

[18]–المقري، الرحلة، ص8.

[19]–عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية، تحقيق و تقديم: أبو القاسم سعد الله، الطبعة1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1987م، ص224.

[20]–سميرة أنساعد، مرجع سابق، ص31.

[21]–المقري، الرحلة، ص8.

[22]–المقري، نفح الطيب، ج1، ص56، 57.

[23]–سميرة أنساعد، مرجع سابق، ص32.

[24]–نفسه، ص32.

[25]–محمد أمين المحبي، مصدر سابق، ص305.

[26]–سميرة أنساعد، مرجع سابق، ص32.

[27]–المقري، نفح الطيب، مصدر سابق، ص10.

[28]–محمد أمين المحبي، المصدر السابق نفسه، ص311.

[29]–هو مستشرق فرنسي، تخرج من جامعة باريس قسم اللغات الشرقية، و إنتدب للعمل في الجزائر سنة 1881م،فاشتغل كمدرس للغة العربية بجامعة الجزائر في القرن 19م، ثم شغل منصب مدير بمدرسة وهران، اهتم بدراسة التاريخ و الأدب الشعبي الجزائري، له عدة مؤلفات أهمها؛ تاريخ الباشوات العثمانيين في الجزائر من سنة 1515م إلى سنة 1745م، توفي سنة 1919م.

[30]–سميرة أنساعد، مرجع سابق، ص23، 24.

[31]–عبد القادر شرشال، كتاب الرحلة إلى المغرب والمشرق لأبي العباس المقري، مجلة الفضاء المغاربي، وهران، ماي 2016م، ص74.

[32]–سميرة أنساعد، المرجع السابق نفسه، ص24، 25.

[33]–نفسه، ص25.

[34]–نفسه، ص53، 54.

[35]–مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص31.

[36]–هو أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن زاكور الفاسي بمدينة فاس المغربية في حوالي سنة 1665م، بدأت بشائر نبوغه مبكرا حيث كان ينظم الشعر الجيد ويقدم على التأليف، حرصعلى أخذ العلم من أفواه أشهر علماء عصره وملازمة حلقات دروسهم والإرتواء من مختلف علومهم مثل أبو حفص عمر بن محمد

بن عبد الرحمن المنجلاتي الجزائري، سعيد بن إبراهيم قدورة الجزائري، أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي، تصدر للتدريس بفاس بعدما تفوق على أقرانه في الكثير من العلوم والفنون، توفي سنة 1708م وترك آثارا علمية قيمة منها: نشر أزاهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، الحلة السيراء في حديث البراء، الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض...وغيرها كثير.أنظر: ابن زاكور الفاسي، نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص14-25.

[37]-ابن زاكور الفاسي، مصدر سابق، ص40.

[38]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص9.

[39]-ابن زاكور، المصدر السابق، ص41.

[40]-ليلى غويني، التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجية الجزائرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر2، قسم التاريخ، 2011/2010م، ص65، 66.

[41]-ابن زاكور الفاسي، مصدر سابق، ص 40، 41.

[42]-المقري، الرحلة، مصدر سابق، ص72.

[43]-هو الأديب الرحالة من شعراء الجزائر العثمانية، كان حيا سنة 1058هـ، اشتهر بشعر المجون، ومن المتأثرين بالمدرسة الأندلسية في نظم الموشحات، أنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء2، الطبعة1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989م، ص267.

[44]-نفسه، ص72.

[45]-هو أبو عثمان سعيد بن إبراهيم قدورة، مفتي مدينة الجزائر وفقيهها وعالمها، تونسي الأصل جزائري المولد والمنشأ، أخذ عن سعيد المقري وغيره، من آثاره شرح الصغرى

وغيرها، توفي سنة 1066هـ، أنظر: المقري، الرحلة، مصدر سابق، ص73.

[46]-المقري، الرحلة، مصدر سابق، ص73.

[47]-نفسه، ص75.

[48]-نفسه، ص74.